

## المتن

### المثال الرابع عشر:

قوله تعالى "إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ" [الفتح: 10]

## الشرح

هنا يقول: "إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ" قالوا إِنَّ ظاهر اللفظِ ؛ أَنَّ الناسَ يُبَايِعُونَ الله مباشرة "يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ" عند المبايعة؛ قالوا هذا ظاهر اللفظِ. يقوله مَنْ؟ الْمُعْطَلَةُ. لماذا؟ لأجل أن يلزمونا إما بالقولِ به وهو ممتنعٌ ؛ وإما بمخالفته وهو ما يُريدونه منّا. انتبهوا! يقولون: ظاهر اللفظِ أَنَّ المبايعة وقعت من المؤمنين لله مباشرة؛ وَأَنَّ يَدَ اللَّهِ نَفْسَهُ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ عند المبايعة. هذا هو ظاهر اللفظِ عندهم. يقولونَ هذا هو الظاهرُ لأجل أن يلزمونا به ونحنُ لانتلزمُ بهذا. تقول: المؤمنون إنما بايعوا؛ مَنْ؟ الرسول - صلى الله عليه وسلم -؛ فيقولون: إذن صرفتم الآية عن ظاهرها؛ فلماذا تُشنعون علينا إذا صرفنا الآياتِ عن ظاهرها وأتم تصرفون الآياتِ عن ظاهرها؟ هذه شبهتهم والردُّ عليهم:

## المتن

والجواب: أن يقال: هذه الآية تضمنت جملتين:

**الجملة الأولى:** قوله تعالى: "إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ" [الفتح: 10]. وقد أخذ السلف "أهل السنة" بظاهرها وحقيقتها، وهي صريحة في أن الصحابة - رضي الله عنهم - كانوا يبايعون النبي صلى الله عليه وسلم نفسه؛ كما في قوله تعالى: "لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ

الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ" [الفتح:18].

### الشرح

واضحٌ هذه؟ "إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ" يُبَايِعُونَكَ؛ صريحٌ في المبايعة. المبايعةُ حصلت للرسول - صلى الله عليه وسلم - لقوله "لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ" فالمبايعةُ حُقيقيةٌ ومباشرةٌ لَمَنْ؟ للرسول صلى الله عليه وسلم؛ هذا أمرٌ لا يُنكر. تبقى الجملة الثانية.

### المتن

ولا يمكن لأحد أن يفهم من قوله تعالى: "إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ" [الفتح:10]؛ أنهم يبايعون الله نفسه، ولا أن يدعي أن ذلك ظاهرُ اللفظ لمنافاتهٍ لأول الآية؛ والواقع استحالته في حق الله تعالى.

### الشرح

طيب ذكر ثلاثة تعليقات:

\***أولاً:** "أَنَّهُ مُنَافٍ لِأَوَّلِ الْآيَةِ" ويش أول الآية؟ "إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ" والبيعةُ بيعةٌ واحدة وقعت للرسول وليس لله عزوجل.

\***ثانياً:** "لمنافاته للواقع" لأن الواقع أن الصحابة إنما بايعوا مَنْ؟ الرسول صلى الله عليه وسلم - ولم يقل أحدٌ ولم يفهم أحدٌ أن الله عزوجل مَدَّ يَدَهُ إِلَيْهِمْ لِيُبَايِعَهُمْ.

ولهذا جاء الوجه الثالث: "استحالته" على الله عزوجل - "فإنَّ ذلك مستحيلٌ لأننا لو قلنا إنهم يُبايعون الله حقيقة؛ لزمَ إما أن يرتفعوا إلى الله كما قال الله تعالى في عيسى: "ورافِعَكَ إِلَيَّ" وإما أن الله تعالى ينزلُ وكلا الأمرين مستحيلٌ. وبهذا عُرفَ أنَّه ليس ظاهر الآيَةِ كما زعمَ هؤلاء. وكلُّ هذه الآياتِ وأمثالها؛ كلُّها إنما يأتي بها هؤلاء للإلزامِ أهلَ السنةِ والجماعةِ بأحدِ أمرين: إما أن يُؤوِّلوا وإما أن يُداهنوا ويسكتوا عن هؤلاء الذين أوَّلوا النصوصَ وصرَّفوها عن ظاهرها.

### المتن

وإنما جعل الله تعالى مبايعة الرسول صلى الله عليه وسلم؛ مبايعة له؛ لأنه رسوله قد بايع الصحابة على الجهاد في سبيل الله تعالى، ومبايعة الرسول على الجهاد في سبيل من أرسله مبايعة لمن أرسله؛ لأنه رسوله المبلغ عنه، كما أن طاعة الرسول طاعة لمن أرسله لقوله تعالى: "مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ" [النساء: 80].

### الشرح

الآن مثلاً لو أنَّ الملكَ أرسلَ أناساً إلى البلدان ليُبايعوا عنه؛ فإنَّ هؤلاء الرُسلَ الذين بايعوا أهلَ البلدان إذا بايعهم الناس؛ فإنما بايعوا مَنْ؟ الملك. المبايعةُ المباشرةُ للرُسلِ ولكنَّ حقيقتها للملك. هذه نظيرُ هذه.

فهؤلاء بايعوا الرسولَ عليه الصلاة والسلام - لأنَّ الله - سبحانه وتعالى أمره أن يُبايعهم أو أقره على ذلك؛ فصارت مبايعتهم للرسول صلى الله عليه وسلم مبايعةً لله عزوجل -

ولاتدلُّ الآيةُ أبداً على أنهم بايعوا الله مباشرة أبداً؛ لما سبق من الوجوه الثلاثة: منافية الآية لأولها ومخالفتها للواقع؛ واستحالته.

### المتن

وفي إضافة مبايعتهم الرسولَ صلى الله عليه وسلم إلى الله تعالى من تشريف النبي صلى الله عليه وسلم وتأييده وتوكيد هذه المبايعة وعظمتها ورفع شأن المبايعين ما هو ظاهر لا يخفى على أحد.

### الشرح

مافيه شك في هذه الإضافة عدة قوائد:

**1-أولاً-تشريفُ النبي صلى الله عليه وسلم-**وجهُ ذلك أنَّ الله جعلَ مبايعتهُ أي مبايعة الرسول عليه الصلاة والسلام مبايعةً لله فهو عليه الصلاة والسلام- كالتائب عن الله عزوجل وهذا ولاشكَّ أنَّه تشريفٌ؛ كإضافة العبودية الخاصة في مثل قوله: "تبارك الذي نزل الفرقان على عبده" [الفرقان:1].

**2-ثانياً-** توكيدُ المبايعة وعظمتها لأنها وقعت لمن؟ لله-عزوجل- ومعلومٌ أنَّ المبايعة لله تقتضي توكيدُ الوفاء بها.

**3-ثالثاً-**رفعُ شأنِ المبايعين أيضاً: ما هو ظاهرٌ لأنه إذا قيلَ لهذا الرجل: أنت الآن بايعت الله-عزوجل-لاشكَّ أنَّ في هذا رفعاً لشأنه وتشريفاً لهم. فهذا هو وجهُ قوله تعالى: "إنما يُبايعون الله" فأضافَ المبايعة لله لأنها وقعت من رسوله المبلغ عنه، ولما فيها من التوكيد

والتعظيم لهذه البيعة ورفع شأن المبايعين.

### المتن

الجملة الثانية: قوله تعالى: "يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ" [الفتح:10]. وهذه أيضًا على ظاهرها وحققتها، فإن يد الله تعالى فوق أيدي المبايعين؛ لأن يده من صفاته وهو سبحانه فوقهم على عرشه، فكانت يده فوق أيديهم. وهذا ظاهر اللفظ وحقائقه؛ وهو لتوكيد كون مبايعة النبي صلى الله عليه وسلم مبايعة لله عز وجل، ولا يلزم منها أن تكون يد الله جل وعلا مباشرة لأيديهم، ألا ترى أنه يقال: السماء فوقنا مع أنها مباينة لنا بعيدة عنا. فيد الله عز وجل فوق أيدي المبايعين لرسوله صلى الله عليه وسلم مع مباينته تعالى لخلقهم وعلوهم عليهم.

### الشرح

تنبيه مهم: لأنه قد يُحتج به مَنْ يقولون بوحدة الوجود أو بالاتحاد يقولون: إنما قوله تعالى: "إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ" إذن فالرسول هو الله "ويدُ الله فوق أيديهم" قالوا: اللي فوق أيديهم يدُ الرسول فجعلوا يدَ الرسول يدًا لله وحينئذ يكون الرسول صلى الله عليه وسلم هو الله عز وجل -نسأل الله العفو والعافية هذا لا يمكن أبدًا.

### المتن

ولا يمكن لأحد أن يفهم أن المراد بقوله: "يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ" يد النبي صلى الله عليه وسلم، ولا أن يدعي أن ذلك ظاهر اللفظ؛ لأن الله تعالى أضاف اليد إلى نفسه،

ووصفها بأنها فوق أيديهم. ويد النبي صلى الله عليه وسلم عند مبايعة الصحابة لم تكن فوق أيديهم، بل كان يسطها إليهم، فيمسك بأيديهم كالمصباح لهم، فيده مع أيديهم لا فوق أيديهم.